

السنة الأولى ليسانس (أدب عربي)

مادة: النص الأدبي القديم

السداسي الثاني (نثر)

المحاضرة السابعة

المجموعة "أ" + المجموعة "ب"

الأستاذ عبد القادر شريف حسني بالتنسيق مع الأستاذ إبراهيم بوشريحة

المقامات:

المقامة فن، من فنون الأدب العربي، وخاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به، وهي غاية تعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير، والإنشاء، وهي صيغ حُلِّيت بألوان البديع، وزينت بزخارف السجع، وعني أشد العناية بنسبها ومعادلاتها اللفظية، وأبعادها ومقابلاتها الصوتية⁽¹⁾، إذ أقبل عليها طلاب الأدب في جميع الأقاليم العربية، يتدارسونها، ويحفظونها، ولم تعقهم عن إعجابها والاهتمام بها حواجز الصناعة التي أقامها الحريري من كنيات، وألغاز، بل ظلوا مهتمين بها⁽²⁾، وللعلم فإن "بديع الزمان هو الذي مهد الطريق وعبدّه لظهور هذا الفن، وخلفه الحريري، فتبين المعالم والصور بأوضح ما تبينها سلفه، إذ كان أوسع ثقافة، وأحكم صياغة، وأقوى تعبيراً، فإذا هو يصل بالفن على القمة التي كانت تنتظره، وإذا مقامته تصبح المعجزة الخارقة التي لا تستبق ولا تلحق على مر العصور"⁽³⁾.

معنى المقامة:

لغة: هي المجلس، ومقامات الناس مجالسهم، واستعملت بمعنى مجلس القبيلة وناديتها، ومن ذلك قول زهير:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

وبالتالي فالمقامة اسم للمجلس والجماعة من الناس، والمقامة بمعنى الإقامة⁽⁴⁾.

وتطور مفهوم المقامة عبر العصور حتى أصبح يعني "الأحدوثة من الكلام"⁽⁵⁾، ويقول "القلقشندي":

¹ - ينظر المقامة، يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأفطار العربية، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص: 5.

² - المرجع نفسه، ص: 5.

³ - شوقي ضيف، المقامة، ص: 8.

⁴ - أسماء حسن محمد النويري، فن المقامة في القرنين السابع والثامن "دراسة أدبية نقدية"، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009، ص، 10.

⁵ - ينظر أسماء حسن محمد النويري، فن المقامة في القرنين السابع والثامن "دراسة أدبية نقدية"، ص: 11.

"وسميت الأحداث من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها"⁽⁶⁾.

اصطلاحاً: المعروف أن بديع الزمان هو أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء، إذ عبر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور أحاديث تُلقى في جماعات، فكلمة مقامة عنده قريبة من المعنى من كلمة حديث⁽⁷⁾.

ومما قيل عن المقامة أنها "عبارة عن كتابة حسنة التأليف، أنيقة التصنيف، تتضمن نكتة أدبية ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند إلى بعض الرواة، ووقائع شتى تعزى إلى أحد الأدباء؛ والمقصود منها غالباً جمع درر وعرر البيان وشوارد اللغة، ونوادر الكلام، منظوم ومنثور، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة والرقائق الأدبية، كالرسائل المبتكرة، والخطب المحبزة، والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية، وتنسب المقامات غالباً بالمكان الذي تجري فيه أحداثها؛ فيقال: المقامة الحلبية، أو الموصلية، أو تنسب للمروي عنه"⁽⁸⁾.

وبالتالي فهي "فن كتابي سردي، عبارة عن أحاديث خيالية أدبية بليغة، تلقى في جماعة من الناس، بطلها نموذج إنساني متسول، لها راو وبطل وتقوم على حدث ظريف مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية، وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية، هدفها الأساسي تعليم الناشئة اللغة وأساليبها"⁽⁹⁾.

فن المقامة.. النشوء والارتقاء:

ذهب البعض إلى أن المقامات فارسية الأصل، وأنها انتقلت من اللغة الفارسية إلى العربية، ويرد على ذلك بأن المقامات قد ظهرت في اللغتين العبرية والسريانية بعد ترجمة مقامات الحريري، ولو كان أصل المقامات فارسية لكان الأولى أن تنتقل المقامات إلى هاتين اللغتين من المقامات الفارسية وليس العربية⁽¹⁰⁾، كما تشير الكتب إلى أن "أول من ألف مقامات فارسية هو القاضي حميد الدين الذي ذكر أنه ترسم خطي البديع والحريري رغبة منه في إدخال هذا الفن إلى اللغة الفارسية، المقامة إذن فن عربي أصيل، وهدفه الأساسي هو تعليم اللغة العربية وأساليبها، ومعرفة فنونها، كما تضاربت الأقوال في أصل المقامات، فإن التضارب حول من اخترعها كان أشد وأعنف، فيرى فريق أن بديع الزمان عارض أحاديث ابن دريد فنشأت

⁶ - أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تح: يوسف الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987، ج14، ص: 124.

⁷ - المقامة، المرجع نفسه، ص: 8.

⁸ - أسماء حسن محمد النويري، فن المقامة في القرنين السابع والثامن "دراسة أدبية نقدية"، ص: 2.

⁹ - المرجع نفسه، ص: 12.

¹⁰ - المرجع نفسه، ص: 13.

المقامات⁽¹¹⁾، وهناك من يرى غير ذلك، إلا أن الأغلبية ذهبت مذهب أن مخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمذاني، وأن الذي طوره هو الحريري.

1- **بديع الزمان الهمذاني:** هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الملقب بلقب بديع الزمان، ولد في همذان، وهي مدينة جبلية في إيران سنة: (358 هـ). وفي رسائله المطبوعة دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية كريمة استوطنت هناك. ونراه يقول في أول رسالة له متلطفاً إلى من راسله: "إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد. فهو ليس فارسياً كما قد يُظن، وإنما هو عربي مضرّي تغليي. وأخذته أبوه بالتعليم والتثقيف، فاختلف إلى دروس العلماء والأدباء في بلده، وتلقن على أيديهم ما شحذ به عقله من دروس دينية، وأخرى لغوية وأدبية⁽¹²⁾."

ويعتبر الهمذاني أول من سمى المقامة باسمها، إذ صاغ حديثه في "شكل قصص قصيرة يتألق في ألفاظها وأساليبها، ويتخذ لقصصه هذه جميعاً راوياً واحداً هو عيسى بن هشام، كما يتخذ لها بطلاً واحداً هو أبو الفتح الإسكندري الذي يظهر في شكل أديب شحاذ، لا يزال يروع الناس بمواقفه بينهم وما يجري على لسانه من فصاحة في أثناء مخاطبتهم"⁽¹³⁾.

"وقد غدت مقامات البديع إذن مثلاً في سمو الكتابة النثرية، إذ صرح علماء الأدب في كتبهم، كما ينقل "الشريشي" شارح مقامات الحريري المشهور (620هـ)، بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه، ولقبه "بديع الزمان" يدل على قدره وفضله، فهو "اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه" بحسب عبارة الحصري في "زهر الآداب"⁽¹⁴⁾.

موضوع المقامة عند بديع الزمان الهمذاني:

يختلف موضوع المقامة عند بديع الزمان، حسب المكان والزمان، والمقامات في أغلبها موضوعها الكدية⁽¹⁵⁾ والاستجداء⁽¹⁶⁾؛ إذ يظهر أبو الفتح الإسكندري في شكل أديب شحاذ يعجب الجماهير ببيانه العذب، ويحتال عليهم بهذا البيان لاستخراج الدراهم من جيوبهم، وهو يتراءى بهذه الصورة في بلدان مختلفة،

¹¹ - أحمد حسن محمد النويري، المرجع نفسه، ص: 13.

¹² - ينظر المقامة، يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص: 13.

¹³ - المقامة، المرجع نفسه، ص: 8.

¹⁴ - نادر كاظم، المقامات والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص: 73.

¹⁵ - الكدية: التسول، أو حرفة السائل الملح. ينظر قاموس المعاني الجامع.

¹⁶ - الاستجداء: طلب المعونة أو الاستعطاف. ينظر قاموس المعاني الجامع.

ولعل هذا ما دفع بديع الزمان إلى أن يسمي المقامات بأسماء البلدان، ومعظم هذه بلدان فارسية⁽¹⁷⁾، إلا أن ما ينبغي أن نشير إليه هو أن السبب في تأليفها، هو تعليم الناشئة بأسلوب لغوي بديع موضوعاته عبارة عن قصص مشوقة، تحبب لهم الدراسة، وتدفعهم إلى الاهتمام أكثر.

2- الحريري: هو أبو القاسم بن علي الحريري، ولد لأسرة عربية سنة (446هـ) بضاحية من ضواحي البصرة، تسمى "المشان"، كثرة التمر والرطب والفاكهة. وبها كانت ملاعب صباه ومسارحه. ولما شب تحول عنها إلى البصرة، ونزل بجي فيها يسمى حي بني حرام، وأكب على الدراسات الدينية والعلوم اللغوية والنحوية، وتخرج في ذلك كله حاذقا به، بارعا غاية البراعة⁽¹⁸⁾.

يقال أن الحريري هو من طور فن المقامة بعد الهمذاني، وأنه برع في صناعتها، وقد اختلف الرواة في المكان الذي ألف فيه الحريري مقاماته، فمن قائل إنه ألفها ببغداد، ومن قائل إنه ألفها في البصرة، ثم أصعد إلى بغداد، وعرضها على الأدباء هناك، وكانت أربعين مقامة، فاستحسنوها وتداولوها، واتهمه بعض حسدته بأنها ليست من عمله، وقالوا: إن كنت صادقا في أنها من عملك، فلتصنع مقامة جديدة، تثبت حجتك وصحة قولك⁽¹⁹⁾، يقال أنه تعثر ولكنه أثبت جدارته، فسلموا له، واعترفوا بلغته، وهناك من يرى أن هذا الحديث لا صلة له بالواقع.

الأسلوب عند الحريري:

اتبع الحريري في كتابته للمقاماته أسلوب سابقه الهمذاني من حيث الحوار المحدود بين الراوي والبطل، ومن حيث هذه الصيغة الثابتة في أول المقامة "حدثنا". فمقامته تأخذ أسلوب القصة، وهي أكثر حبكة من مقامة البديع، ولكن لا تزال الغاية القصصية بعيدة عن الحريري، باعتبار كلاهما يركز على اللغة، إذ لم يحاول فعلا أن يقدم لنا قصة، وإنما حاول أن يقدم حديثا فيه ما يشوق عن طريق أبي زيد، هذا الأديب الشحاذ الذي يظهر في مناظر مختلفة وبلدان مختلفة، وهو حديث لا يراد لذاته، وإنما يراد لعرض أساليب أدبية بديعة⁽²⁰⁾، ذلك أن الأسلوب هو غاية الحريري في مقاماته، ومن الخطأ أن نطلب عنده كيان القصة الحي، أو مدى تصويره للنفس الإنسانية، باعتباره لم يفكر في ذلك، وإنما فكر في أن يشد معاصريه بما يعرض من

¹⁷ - ينظر المقامة، المرجع نفسه، ص: 24.

¹⁸ - ينظر ينظر المقامة، يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص: 44.

¹⁹ - ينظر المرجع نفسه، ص: 47.

²⁰ - ينظر المرجع نفسه، ص: 64.

الشكل الخارجي لمقامته⁽²¹⁾. وقد اختار لها بطلا هو أبو زيد السروجي وراويته هو الحارث بن همام. واتفق الرواة على أن الحارث شخصية خيالية، أما أبو زيد فقالوا إنه شخصية حقيقة⁽²²⁾.

وقد ركز في كتاباته على السجع والجناس، ولم يثقل عنده القارئ، فقد كان يعرف كيف يسر النفس، ويشرح الصدر، وكان لديه من الذكاء والإحساس بألفاظ اللغة ما يجعله ينفي عن عمله كل غضاضة وكل ضيق. فما تقرأه حتى تشعر أنك ارتبطت به، وأنه عقد بينك وبينه رابطة مودة، لا لسبب إلا لأنه يعرف كيف يختار ألفاظه، وكيف ينتخبها، بحيث تلتئم مجموعاتهما على نحو ما تلتئم الأنغام⁽²³⁾، التي تشد السامعين إليها.

المقامة بين بديع الزمان الهمذاني والحريري:

أما بالنسبة لما قيل عن الهمذاني والحريري، فالواقع "أن تألق مقامات البديع لم يدم طويلا، فما كان القرن الخامس يغرب حتى أخذ نجم مقامات البديع يأفل معه بوتيرة متسارعة. فمنذ أن بدأ الحريري في إنشاء مقاماته عام (495هـ)، أخذ تألق مقامات البديع يخبو شيئا فشيئا؛ لتتصدر مقامات الحريري الواجهة، وتتوارى مقامات البديع في الظل. ولم يشفع لمقامات البديع لقبه، ولا اعتراف الحريري بفضلها وأسبقيتها. كانت الموجة أقوى من هذا الاعتراف، بل إننا لا نبالي إذا قلنا إن هذا الاعتراف كان فاتحة السيل الذي أتى على مقامات البديع. فصحيح أن بديع الزمان، باعتراف الحريري، مبتدع فن المقامات، وسباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أتى بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضله، ولا يسري إلا بدلالته"، غير أن هذا الاعتراف لم يكن إلا الكلمة الأولى في تأيين مقامات البديع⁽²⁴⁾.

أثر المقامات في الأدب الجزائري القديم:

لم يقتصر تأثير مقامات بديع الزمان على أدباء المشرق فقط، بل تعداه إلى التأثير في أدباء المغرب والأندلس، إذ أقبل الأندلسيون والمغاربة على هذا الفن إقبالا كبيرا، ومن بينهم ابن شرف، والسرقي، والوهبراني، وغيرهم⁽²⁵⁾، وعلى هذا الأخير سيكون تركيزنا.

²¹ - ينظر المقامة، المرجع نفسه، ص: 65.

²² - ينظر المرجع نفسه، ص: 48.

²³ - المرجع نفسه، ص: 66.

²⁴ - ينظر نادر كاظم، المقامات والتلقي، ص: 85.

²⁵ - الطاهر حسيني، فن المقامة في التحفة المرضية لابن ميمون الجزائري، جامعة ورقلة، 2007، 2008، ص: 16.

تأثر الأدب الجزائري كغيره من الآداب العربية بفن المقامات، إذ أسهم الجزائريون في هذا الميدان، ولعل أشهرهم ابن محرز الوهراني في مناماته ومقاماته⁽²⁶⁾.

ابن محرز الوهراني: هو أبو عبد الله بن محمد بن محرز الوهراني، أديب جزائري، عاش في القرن السادس الهجري (12م)، ويذهب البعض إلى أنه قد ولد -على الأرجح- في عهد الدولة المرابطية⁽²⁷⁾ في بداية القرن السادس الهجري، بمدينة وهران إحدى مدن الجزائر⁽²⁸⁾.

خلف ابن محرز الوهراني منامات ومقامات ورسائل جمعها وحققها كلها ووضعها تحت عنوان "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله"، كل من الأستاذين إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مع مراجعة لعبد العزيز الأهواني العام 1968م، والمتتبع لأعمال الوهراني يجدها مؤلفة من منامات ومقامات ورسائل، تختلف من حيث الطول والقصر، وقد بلغ عدد المنامات ثلاثة، والمقامات⁽²⁹⁾ ثلاثة، وأما الرسائل⁽³⁰⁾ فبلغت حوالي ثلاثة وثلاثين رسالة، ويقال أن نصوصه تجاوزت الأربعين نصا⁽³¹⁾. وحديثنا في هذه الأسطر سيكون على المنامات باعتبار الحديث عن المقامات، كان مع بديع الزمان الهمذاني، والحريري، أما الرسائل فستكون مع غيره في المحاضرات المقبلة.

وصلنا عن الوهراني ثلاث منامات رصدت في كتابه "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" إذ ينتقل الوهراني من خلال مناماته بخياله إلى العالم الأخروي تارة وعالم الجن والشياطين تارة أخرى، ويسعى إلى لقاء

²⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص: 216.

²⁷ - تأسست بالمغرب على يد يوسف بن تاشفين، وقد تمكن المرابطون من حكم المغرب الأقصى وشطرا من المغرب الأوسط من سنة 524/ هـ 668 هـ / 1130م / 1269م

²⁸ - شميسة خلوي، أسماء منسية في صفحات التاريخ المطوية، "ابن محرز الوهراني"، <https://www.alukah.net>

²⁹ - رصيد الوهراني من المقامات ثلاثة؛ كتب الأولى في بغداد والثانية في صقلية والثالثة في شمس الخلافة، فأما مقامته البغدادية فحاول الوهراني من خلالها سرد بعض المسائل السياسية المتعلقة بمجال الحكم والحكام، كتحدثه عن سيرة عبد المؤمن بن علي وآل أيوب. أما مقامته الثانية في شمس الخلافة فتدرج ضمن إطار النقد الاجتماعي، إذ أراح الستار عن ظاهرة الإخلال بالقيم الدينية والاجتماعية القويمة، والمتمثلة في ادعاء الكثير من الناس التفقه في الدين من غير علم، وقد جعل الوهراني من شمس الخلافة رمزا حيا لهذا النوع من الناس. بينما حاول في مقامته الثالثة والمسماة "المقامة الصقلية" مدح بعض الرجال في أحد المجالس.

³⁰ - أخرج الوهراني نماذج متنوعة من الرسائل ذات الموضوعات المختلفة والتي بلغت زهاء ثلاثة وثلاثين رسالة، أنطق فيها الجهاد والحيوان، ففي رسالة كتبها على لسان جامع دمشق، جعل من هذا الأخير لسان حال مساجد دمشق وما حولها، ومشاهد ومدافن الأنبياء والمرسلين، فاجتمعت المساجد، ولجأت إلى أميرها جامع بني أمية، لترى ما هي فاعلة بعد ما مسّها من ضياع .

وكتب الوهراني على لسان بخلته إلى الأمير "عز الدين موسك" تخبر البغلة فيها الأمير بحالها، بعدما أشرفت على الهلاك، لما تقاسيه وتعانيه عند مالكةا من مواصلة الصيام، وقلة الشعر والقضيم رغم ما يملكه سيدها من مال كثير .

³¹ - شميسة خلوي، أسماء منسية في صفحات التاريخ المطوية، "ابن محرز الوهراني"، <https://www.alukah.net>

صلاح الدين الأيوبي في الدنيا نفسها لأنه كان حيًّا يومئذ، وأهم هذه المنامات وأطولها "المنام الكبير، الذي تصور فيه الوهراني أنه بُعث إلى يوم المحشر والتقى هناك بالعلماء والفقهاء والشعراء والوزراء والمتصوفين وغيرهم، تحاور مع بعضهم، ووصف أحوال آخرين، ويبلغ حجم المنام الكبير ثلاثة وخمسين صفحة من الكتاب المجموع⁽³²⁾.

ومنام الوهراني منشور في أغلبه، تتخلله أبيات شعرية من نظم الوهراني حيناً ولغيره أحياناً أخرى، وعنه يقول ابن خلكان: «وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا إِلَّا الْمَنَامُ الْكَبِيرُ لَكَفَّاهُ، فَإِنَّهُ أَتَى فِيهِ بِكُلِّ حَلَاوَةٍ، وَلَوْلَا طُولُهُ لَذَكَرْتُهُ»⁽³³⁾.

كما أنطق الوهراني المئذنة، فكتب على لسانها خطبة على لسان قاضي القضاة، يطلب فيها من السامعين شكر الله تعالى على تشريف دولة أئمتهم من بني العباس بالقاضي "أبو القاسم عبد الله بن درباس"، ووصفه بأفضل الشيم⁽³⁴⁾.

وللوهرواني رسالة في الطير، ذكر فيها محاسن كل ذي جناح وفضله على الإنسان والطبيعة، أما بقية الرسائل فموجهة للأمرء والقضاة وأولي الأمر آنذاك، والأدباء والشعراء، فيها الكثير من التهكم بأشخاصهم⁽³⁵⁾.

الهدف من المقامة:

المتتبع لقمامات الهمداني لا يجد فيها عقدة ولا حبكة، لأن "أكبر الظن أن بديع الزمان لم يُعَنَ بشيء من ذلك، فلم يكن يريد أن يؤلف قصصاً، إنما كان يريد أن يسوق أحاديث لتلاميذه تعلمهم أساليب اللغة العربية وتقفهم على ألفاظها المختارة"⁽³⁶⁾، لأن "المقامة أريد بها التعلم منذ أول الأمر، ولعله من أجل ذلك سماها بديع الزمان مقامة، ولم يسمها قصة ولا حكاية، فهي ليست أكثر من حديث قصير، وكل ما في الأمر أن بديع الزمان حاول أن يجعله مشوقاً فأجراه في شكل قصصي"⁽³⁷⁾.

وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى أن المقامة هي شكل من أشكال القصص، وضرباً من ضربها "وقارنوا بينها وبين القصة الحديثة، ووجدوا فيها نقصاً كثيراً. وهذا حَمَلٌ لعمل بديع الزمان على معنى لم

³² - شميسة خلوي، أسماء منسية في صفحات التاريخ المطوية، "ابن محرز الوهراني"، المرجع نفسه.

³³ - المرجع نفسه.

³⁴ - المرجع نفسه.

³⁵ - المرجع نفسه.

³⁶ - المقامة، المرجع نفسه، ص: 8.

³⁷ - المقامة، المرجع نفسه، ص: 8.

يقصد إليه، فكل الذي قصده أن يضع تحت أعين تلاميذه مجاميع من أساليب اللغة العربية المنمقة، كي يقتدروا على صناعتها، وحتى يتيح لهم أن يتفوقوا في كتاباتهم الأدبية⁽³⁸⁾، ورغبة منه في رفع مستواهم الأدبي واللغوي، وكذلك نسعى.

من خصائص المقامة:

المقامة شكل من الأشكال الأدبية الأخرى التي تتميز عن غيرها بميزات تجعلها أفضل من الناحية الجمالية، وذلك من خلال الاعتماد على استخدام الأساليب الجمالية كالطباق، والجناس، والسجع. كما تتميز بتوظيف غريب الألفاظ ومهجورها، بل إنها تركز على هذا الغريب والمهجور، وقد تكون غير مألوفة عند الذي لم يقرأها، كما توظف فرائد الأخبار، والحكم والأمثال، والشعر، والمواعظ، وغير ذلك، وترتكز في بنيتها على راو واحد وقد تتعدى ذلك، وبطل يكون واحدا في مقامات الكاتب الواحد مثلما نلاحظ ذلك مع الهمداني، والحريري.

ومن خصائصها أنها ليست قصة، وإنما هي "حديث أدبي بليغ، وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة، فليس فيها من القصة إلا الظاهر فقط، أما هي في حقيقتها فحيلة يُطرفنا بها بديع الزمان أو غيره لنطلع من جهة على حادثة معينة، ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة. بل إن الحادثة التي تحدث للبطل لا أهمية لها، إذ ليست هي الغاية، إنما الغاية التعليم والأسلوب الذي تُعرض به الحادثة. ومن هنا جاءت غلبة اللفظ على المعنى في المقامة، فالمعنى ليس شيئا مذكورا، إنما هو خيط ضئيل تُنشر عليه الغاية التعليمية"⁽³⁹⁾.

ومن جملة ما تنماز به المقامة أنها "تنحو نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاثها فالجوهر فيها ليس أساسا. وإنما الأساس العرض الخارجي والحلية اللفظية. وكان لذلك وجه من النفع فإن الأدباء انساقوا إلى الثروة اللفظية، وأخذوا يبتكرون صورا جديدة للتعبير ولكن في حدود سطحية"⁽⁴⁰⁾.

أما من الناحية الاجتماعية فقد تميزت "بالنقد والثورة وكشف العيوب الإنسانية، والاجتماعية ووضع البديل لها في بعض الأحيان، ومن هنا تبدو الأهمية الحضارية، والتاريخية لهذا الفن"⁽⁴¹⁾.

وإذا ذهبنا إلى تحديد المقامة من الخرافة، فنقول أن المقامة ليست "حكاية خرافية. فليس للحكاية الخرافية مؤلف، ومن العبث محاولة الوصول إلى نسختها الأصلية، وما يمكن هو مساءلة الراوي الحالي الذي

³⁸ - المقامة، المرجع نفسه، ص: 9.

³⁹ - المرجع نفسه، ص: 9.

⁴⁰ - المرجع نفسه، ص: 9.

⁴¹ - أسماء حسن محمد النويري، فن المقامة في القرنين السابع والثامن "دراسة أدبية نقدية"، ص: 3.

استقها من رواة تضيع لائحة أسمائهم في ماض يتزايد بعدا. وعلى العكس، فقد رأت المقامة النور في لحظة محددة، ولها مؤلف، ولهذا المؤلف سيرة يمكن الرجوع إليها. ومقلدوها معروفون كذلك. وليس من العسير قياس مدى الأمانة للأصل المميز لكل منهم. إضافة إلى أن المقامة قد عرفت، منذ البداية، نقلا مدونا؛ وهذه السمة، مضافة إلى سمات أخرى، تؤشر إلى نمط الجمهور الذي كانت موجهة إليه، وهو جمهور لا علاقة له تقريبا بجمهور الحكاية الشفهية⁽⁴²⁾.

وبالتالي فإذا "كان الهمداني ومعاصروه قد أسسوا معايير جمالية مخصوصة تعلي من شأن الإجادة في شقي البلاغة، الشعر والنثر، وتؤكد أناقة الأسلوب المسجوع، واستخدام اللغة الرفيعة "غير المعهودة عند العامة" بحسب عبارة ابن حزم، إذا كان الأمر كذلك فإن الحريري ومن جاء بعده لم يقفوا عند ما اجتريحه الهمداني ومعاصروه من معايير وقيم جمالية، بل مضوا بما اجتريحه الهمداني ومعاصروه إلى غايته القصوى"⁽⁴³⁾.

⁴² - عبد الفتاح كيليطو، المقامات "السرد والأنساق الثقافية"، تر: عبد الكبير شرقاوي، دار توبقال، المغرب، ط2، 2001، ص: 5.

⁴³ - نادر كاظم، المقامات والتلقي، ص: 90.